

M.Ü. İLÂHİYAT FAKÜLTESİ VAKFI YAYINLARI Nu: 261

BÜYÜK TÜRK BİLGİNİ  
İMÂM MÂTÜRÎDÎ  
VE MÂTÜRÎDİLİK

**Milletlerarası Tartışmalı İlmî Toplantı**

22 - 24 Mayıs 2009 İstanbul



İstanbul 2012

## İMÂM MÂTÜRÎDÎ'NİN TEFSİR METODU

Prof. Dr. Abdurrahim el-Âlemî

Abdûlmelik es-Sa'dî Üniversitesi / FAS

### ÖZET

İmâm Mâtürîdî, İslâm medeniyetinin Mâverâünnehir bölgesinde yetiştirdiği en büyük müfessirlerinden biridir. Onun tefsiri olan “*Te'vilâtu ehli's-sünne*” yazıldığı döneme bakıldığında, gerek ilmî derinlik gerekse yöntem bakımından son derece gelişmiş bir tefsir seviyesini gösterir. Tebliğimiz aşağıdaki ana eksenleri ele alacaktır: İmâm Mâtürîdî'nin tefsir yöntemi, tefsirinin kaynakları, epistemolojik arkaplanı, doktrinel arkaplanı, akıl ve nakil referansları çerçevesinde Mâtürîdî'nin tefsiri, eserde ele alınan ilâhiyyât, semiyât ve akliyyât konuları, kullanılan yöntemsel araçlar, tevil seviyeleri, cedele yönelik kurallar.

Çalışmanın ana eksenini, İmâm Mâtürîdî'nin tefsirindeki ve müteşâbih âyetleri tevildeki yöntemi ile onun fıkıh, kelâm gibi değişik ilim alanlarındaki uzmanlığını tefsirine ne şekilde yansıttığı hususu oluşturmaktadır.

Ancak Mâtürîdî'nin tefsir anlayışında dikkati çeken nokta, onun bir kelâm mezhep imâmı olmasına rağmen kendi görüş ve mezhebinin nasslara tam olarak bağlı ve ilmî bir yöntemle savunmasıdır. Bu husus onun tefsirini, nassın değişik anlaşılma şekillerini ortaya koyması bakımından ansiklopedik bir tefsir kıldığı gibi, nassları ele alırken gösterdiği ilmî esaslara riâyet bakımından objektif bir tefsir de yapmaktadır. İşte bu özellikler sebebiyle onun tefsir yönteminin yeniden ele alınması gerekir. Özellikle de İslâm dünyasının batısında İmâm Mâtürîdî ve Mâtürîdîliğin çok sınırlı şekilde bilindiği gerçeğini göz önünde bulundurduğumuzda bu gereklilik kendini daha da çok hissettirmektedir.

منهج الإمام الماتريدي في تفسير القرآن  
بين علم الكلام وأصول الأحكام

أ. د. عبد الرحيم العالمي

أستاذ الفكر والحضارة

بجامعة عبد الملك السعدي المملكة المغربية

## المداخلة:

يعتبر الإمام الماتريدي واحداً من أكابر المفسرين والأئمة المجددين الذين أنجبتهم الحضارة الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، خصوصاً في مدونته الكبرى "تأويلات أهل السنة"، التي مثلت في عصره رؤية تفسيرية تحليلية دقيقة للقرآن الكريم، سواء على مستوى المادة العلمية، أو البناء المنهجي.

تأسس على ذلك، تقوم هذه الورقة البحثية حول دراسة في منهجية الإمام الماتريدي في تفسير القرآن وتأويل المتشابه منه، مع الوقوف على مجالات التقاطع في مقارنته للنص القرآني بين اهتماماته العلمية التي تتوزع بين الفقه والتفسير وعلم الكلام.

طبعاً ليس السياق مناسباً للوقوف عند جملة البيانات البيوغرافية المتعلقة به في السياق التاريخي والفكري، فهذا أمر قد أفاض فيه جملة المفكرين والمؤرخين وأرباب التراجم من القدماء والمعاصرين على حد سواء<sup>974</sup>، لكن من المهم غاية الأهمية - وهو بيت القصيد بالنسبة إلى هذه الورقة - الوقوف عند حدود اشتغال العلمي والمذهبي في مقارنة الإمام للنص المرجعي المقدس أي القرآن الكريم.

## 1 - مفهوم التأويل عند الماتريدي:

يستطيع الباحث أن يلاحظ بأن الإمام أبا منصور الماتريدي رغم اشتهاره بشكل أساسي كواحد من كبار أئمة الإسلام المتكلمين في العقائد، ورغم التأثير الواضح لمنحاه الكلامي في تفسيره، ودفاعه القوي عن أسس هذا المنحى ومشتلاته،

إلا أن دفاعه عن مذهبه وآرائه ظل في إطار منهج علمي دقيق يرتبط بذات النص، مما جعل تفسيره يتميز أولاً بالموسوعية، بالنظر إلى تنوع زوايا رؤية النص القرآني،

- وثانياً بالموضوعية، بالنظر إلى قدرته على الحفاظ على مستوى عالٍ من المعيارية العلمية في تناوله لهذا النص.

ليبيان ذلك، يمكن الوقوف على مثال مفهوم التأويل كمفهوم تأسيسي مبدئي، إذ هو أول ما يصادف المتلقي / القارئ عند قراءة المقاربة الماتريديّة للنص القرآني من خلال العنوان: "تأويلات أهل السنة".

بدءً لعل من المفيد التأكيد - في جملة العلوم الشرعية الإسلامية - على المعادلة الكبرى القائمة بين طرفين محورين في عملية تأسيس أية مقارنة مهما كان مستواها، وزاوية الرؤية، ومجال الاشتغال، وآليات التداول فيها، وهما: الثابت والمتحول.

فالثابت يمثل النص المرجعي المقدس (القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف).

والمتحول: يجسده العمل البشري لمقاربة هذا النص، مقارنة معينة ذات صبغة اجتهادية نسبية، بالنظر إلى القصور البشري والعلاقة بين الثابت والمتحول - كما هو معلوم في مناهج تحليل النصوص عموماً، وفي مناهج العلماء في تحليل النصوص المقدسة لاستنباط الأدلة من أحكامها على ما جرى

انظر مثلاً: أبو منصور الماتريدي وآراؤه العقدية - بلقاسم الغالي - دار البركي للنشر - المطابع الموحدة - تونس - 974

به العمل في العلوم الشرعية الإسلامية - ، إنما هي علاقة يحكمها منطق " الموافقة " باعتبارها صلة الوصل بين البنية النصية للخطاب الإلهي في مستوياتها الدلالية الأولى البسيطة التي تمثل القاعدة الصلبة والمادة الأولية لعملية الاستنباط الحكمي ، وبين المنظومة التصورية لدى متداول النص ، بصرف النظر عن سؤال السبق والمرجعية . هذه العلاقة التي يتم التوسل في تأسيسها بجملة من الآليات والوسائط على رأسها: آلية التأويل .

والتأويل مبحث يقتضي الوقوف عنده من الناحية المنهجية المبدئية واقع أن الإمام أبا منصور الماتريدي آثر أن يجعل مفهوم التأويل مؤشرا أساسيا وعمقا منهجيا في مشروعه التفسيري ، حسبما يدل عليه عنوانها: " تأويلات أهل السنة " .

فالتأويل لغة مشتق من الأول ، أي الرجوع . قال في اللسان: الأول: الرجوع ، آل الشيء يؤول مآلا وأولا: رجع . وأول الشيء رجع ، وألت عن الشيء ارتددت <sup>975</sup> .

قال الزركشي في قوله تعالى: « يوم يأتي تأويله » <sup>976</sup>: أي تكشف عاقبته ... وقد أولته فآل ، أي صرفته فانصرف . فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني <sup>977</sup> .

ولا يخرج عن ذلك ما ذهب إليه غيره من أن أصل الاشتقاق من الإباله أي السياسة ، كأن مؤول الكلام يسوسه ، ويضع المعنى فيه موضعه <sup>978</sup> .

ومن هذا المعنى أطلق « التأويل » على عموم « تفسير » الكلام وبيان معناه ، وشرحه ، وإيضاح حقيقته . وقال بعضهم: معناهما واحد <sup>979</sup> .

لسان العرب - لابن منظور الإفريقي - باب : أ أول .

سورة الأعراف / الآية 53 .

البرهان في علوم القرآن : 2 / 148 .

نفسه : 2 / 149 . وانظر أيضا : معجم مفردات القرآن للراغب الاصفهاني - ص : 27 . الاتقان في علوم القرآن : 2 / 173 /

979 قال ابو عبيدة وغيره : التفسير والتأويل بنفس المعنى . وذهب الراغب الاصفهاني إلى أن التأويل أخص لكون أكثر استعماله في المعاني كالرؤيا والإلهيات . وتكون بنيتها تركيبية جمالية ، على خلاف التفسير ، إذ أكثر استعماله في الألفاظ المفردة ، لبيان معنى الحوشي الغريب منها . يقول : " والتفسير يستعمل في غيرها . والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ ... والتأويل أكثره في الجمل . والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، أو في وجز مبين بشرح كقوله : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " . ( البقرة / 43 ) ، وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله : إنما النسيء زيادة في الكفر ( التوبة / 37 ) . وقوله : " ليس البر بأن تاتوا البيوت من ظهورها " ( البقرة / 189 ) . وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا ، نحو الكفر ، يستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود البارئ خاصة . والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة ، وفي تصديق الحق تارة ، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة " . انظر : البرهان : 2 / 149 . 150 . ونقل السيوطي عن بعضهم قوله : " التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة " . وعن غيره قوله : " التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية " . وعن غيره : " ما وقع ميبنا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا ، لأن معناه قد ظهر ووضح ، وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره ، بل يحمله على المعنى الذي ورد ولا يتعداه ، والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعاني الخطاب ، الماهرين في آلات العلوم . " الاتقان : 2 / 173 . وقال الثعلبي : " التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا ، كتفسير الصراط بالطريق ... والتأويل تفسير باطن اللفظ ، مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع لعاقبة الأمر . فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن دليل المراد ، لأن اللفظ يكشف عن المراد ، والكاشف دليل . مثاله قوله تعالى : " إن ربك لبالمرصاد " ، تفسيره أنه من الرصد . يقال رصده : رقبته . والمرصاد مفعال منه . وتأويله التحذير من

أما عند المتأخرين من علماء الإسلام ، فقد انصرف مفهوم التأويل اصطلاحاً إلى صرف اللفظ عن ظاهره ، أو عن الراجح إلى المرجوح ، بقرينة أو دليل .

والشرط في ذلك عندهم أمران هما:

احتمال اللفظ ذلك المعنى ،

ووجود دليل يوجب ذلك الصرف<sup>980</sup> .

ولما كان التأويل قضية مركزية في منهج الإمام الماتريدي ومدرسته التفسيرية ، فقد أفرد للموضوع مبحثاً مفاهيمياً لبيان حدود اشتغاله في عمل المفسر .

يقول: « الفرق بين التأويل والتفسير هو ما قيل: التفسير للصحابة رضي الله عنهم ، والتأويل للفقهاء . ومعنى ذلك أن الصحابة شهدوا المشاهد وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن . فتفسير الآية أعم لما عاينوا وشهدوا ، إذ هو حقيقة المراد . وهو كالمشاهدة ، لا تسمح إلا لمن علم . ومنه قيل: « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ، لأنه فيما يفسر يشهد على الله به .

وأما التأويل: فهو بيان منتهى الأمر ، مأخوذ من آل يؤول ، أي يرجع . ومعناه كما قال أبو زيد: لو كان هذا كلام غيره يوجه إلى كذا وكذا من الوجوه ، فهو توجيه الكلام إلى ما يتوجه إليه ، ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير ، إذ ليس فيه الشهادة على الله ، لأنه لا يخبر عن المراد ، ولا يقول: أراد الله به كذا وكذا أو عنى ، ولكن يقول: يتوجه هذا إلى كذا وكذا من وجوه ، هذا مما تكلم به البشر . والله أعلم ما صحته من الحكمة . ومثاله: أن أهل التفسير اختلفوا في قوله تعالى: الحمد لله .

قال بعضهم: إن الله تعالى حمد نفسه .

وقال بعضهم: أمر أن يحمد .

فمن قال: عنى هذا دون هذا ، فهو المفسر له .

وأما التأويل فهو أن يقول: يتوجه الحمد إلى الثناء والمدح له ، وإلى الأمر بالشكر لله عز وجل . والله أعلم بالمراد .

فالتفسير ذو وجه واحد ، والتأويل ذو وجوه<sup>981</sup> .

وقد لخص السيوطي رأي الماتريدي هذا بمقولته المركزية الشهيرة: « قال الماتريدي: التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على أنه عنى باللفظ هذا . فإن قام دليل مقطوع به فصحيح ، وإلا ، فتفسير بالرأي . وهو المنهني عنه . والتأويل ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع والشهادة على الله<sup>982</sup> » .

وأثنى البزدوي كذلك بالوجهة على هذا الرأي: « وهذا الوجه أوجه ، لشهادة الأصول ، فلم يكن فيه شهادة على الله تعالى<sup>983</sup> » .

التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه . وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة ” . انظر: الإقتان : 2 / 173 .

980 انظر في ذلك التحرير الحميد لمسائل علم التوحيد - لمحمد صالح بن أحمد الغرسي - ص : 258 .

981 تأويلات أهل السنة : 321 / 1 .

982 الإقتان : 2 / 173 .

983 كشف الأسرار عن أصول البزدوي : 1 / 45 . وانظر أيضا : التفسير والمفسرون : 1 / 22 . كشف الظنون : 1 / 334 .

إن ما ذهب إليه الإمام الماتريدي في تحديد مفهومي التفسير والتأويل وضبط الحدود بينهما ، يمثل مبحثا منهجيا دقيقا اجتهد الرجل فيه على تأصيل أمرين أساسيين:

1 - أولهما توسيع الآفاق الممكنة لعملية تداول النص القرآني ومقارنته بالممكن المتاح من الآليات ، وإخراج علم التفسير من دائرة المناهج التقليدية التي تحد من الإمكانيات الدلالية للنص ومتداوله / متلقيه على حد سواء .

وهو في الحقيقة أمر ذو أهمية خاصة بالنظر إلى طبيعة الحركة التفسيرية السائدة إلى زمانه (القرن الرابع للهجرة ) التي استندت بشكل أساسي على الرواية المسندة<sup>984</sup> ، وعلى كثرة المرويات عن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم ، وأحيانا على التخصص في جوانب معينة من مكونات النص القرآني: كالفقه ، والعقيدة ، واللغة ، والنحو ، والتاريخ ، وغيرها<sup>985</sup> . فصار التفسير « إطارا يتبارى فيه المختصون في الشؤون العلمية المختلفة ، وميدانا يصوبون فيه المعلومات التي تتعلق باختصاصهم . فالنحوي أكبر همه الإعراب وسرد مسائل النحو وفروعه ، وصاحب العلوم العقلية جل عنايته بأقوال الحكماء والفلاسفة وذكر شبههم والرد عليها ، والفقيه مبلغ همه واهتمامه مسائل الفقه وتفرعاتها وذكر أدلتها ، وصاحب التاريخ يكثر من ذكر القصص وأخبار من سلف ، وكثيرا ما يخلط الصحيح منها بالأساطير والخرافات ، وأصحاب المذاهب الدينية والمواجيد الصوفية ركزوا في تفاسيرهم على ما يهمهم من تأييد المذهب أو لمحات التصوف . وهكذا فسر كل صاحب فن أو مذهب بما يتناسب مع فنه أو يشهد لمذهبه »<sup>986</sup> .

2 - وثانيهما فصل المقاربة البشرية الاجتهادية عن ذات المتن المؤول ، وإضفاء صبغة الظنية والاجتهادية عليها .

إن مفهوم التأويل بهذا المعنى يحمل - رغم قوته كمدسة فكرية - كثيرا من التواضع ، ومن التبرؤ من القطعية والإطلاق ، وبالتالي قابلية للانفتاح على أنماط القراءة والمقاربة الموجهة نحو النص المقدس ، وهو بالتالي يمثل منظورا متطورا لمفهوم التأويل .

- 984 ابن ماجة ت 273 هـ ، ابن جرير الطبري ت 310 هـ ، أبو بكر بن المنذر النيسابوري ت 318 هـ الإقنان : 2 / 190 .
- 985 كما فعل : الكسائي ، ويونس بن حبيب ، والقراء ، والمفضل الضبي ، وخلف النحوي ، وأبو عبيدة ، في : معاني القرآن ، وكما فعل أبو عبيدة في : غريب القرآن وأبو بكر الرازي والإمام الشافعي والإمام داود الظاهري في أحكام القرآن . انظر : ضحى الإسلام أحمد أمين - 2 / 145 وما بعدها .
- 986 يتظر مثلا : تفسير القرآن ، ليزيد بن هارون الواسطي ( ت 260 هـ ) ، تفسير القرآن للحسن بن محمد العسكري الإمام الحادي عشر في السلسلة الإمامية ( ت 260 هـ ) طبع في طهران على الحجر سنة 1315 هـ ، التفسير لسهل بن عبد الله التستري من أئمة التصوف ( ت 273 أو 283 هـ ) طبع بالقاهرة سنة 1326 هـ ، تفسير هود بن محكم الهوارى ( النصف الثاني من ق 3 هـ ) مخطوط ، تفسير بقي بن مخلد القرطبي الأندلسي ( ت 276 هـ ) ، تفسير جعفر بن محمد الرازي الزعفراني ، ( ت 276 هـ ) ، ناسخ القرآن ومنسوخه ، لمحمد بن إسماعيل الترمذي السلمي ( ت 280 هـ ) ، تفسير الحسين بن الفضل النيسابوري ( ت 282 هـ ) ، ناسخ القرآن ومنسوخه لإبراهيم بن إسحاق الحربي ( ت 285 هـ ) ، تفسير أبي حنيفة أحمد الدينوري ( ت 282 هـ ) ، تفسير علي بن الحسن بن الجندب ، ( ت 291 هـ ) ، معاني القرآن لأحمد بن يحيى الشيباني ( 291 هـ ) ، كتاب في القراءات لهارون بن موسى النحوي التغلبي ( هـ 292 هـ ) ، فضائل القرآن لمحمد بن أيوب الرازي ( ت 294 هـ ) ، تفسير إبراهيم بن معقل السنفي ( ت 295 هـ ) ... وغيرهم كثير . انظر : التفسير والمفسرون : 1 / 146 وما بعدها . تاريخ الأدب العربي لكارل بوكلمان : 4 / 12 وما بعدها . تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين : 1 / 205 وما بعدها .

فمعلوم أن الكشف عن مقصود مصدر النص تمثل - في جملة أنماط الخطاب - مطلباً في غاية الصعوبة ، لأن ذلك المقصود يتأسس على خلفية مرتبطة أساساً بالذات المنتجة للخطاب كما هو معلوم . وبالتالي ، فإن عملية التأويل لا تتجاوز كونها استشرافاً أو محاورة جدلية للنص ، أو قراءة ، أو مقارنة تسترشد ببنية النص نفسه في سياقها التداولي ، وبعض الآليات الخارجية المساعدة ، لكنها لا تستطيع بحال الذهاب إلى حد زعم الإحاطة الكلية بقصد الملقى / مصدر النص ، مهما كان هذا المصدر ، فبالأحرى إذا كان المصدر إلهياً مقدساً كما هو الشأن بالنسبة إلى القرآن الكريم الذي يتمتع بمجازيات تعبيرية منفتحة بشكل غير محدود على احتمالات التأويل .

إنه بعبارة أخرى إقرار بالسمة النسبية الاحتمالية في عموم المعرفة البشرية ،

في مقابل اليقينية والقطعية التي يتسم بها المتن / النص المقدس ،

وكذلك في مقابل جملة من الأحكام الشمولية التي تميزت بها آراء كثير من أئمة المذاهب ، واصطبغت بها توجهات أتباعهم

فإذا كان الاشتغال على التأويل يمثل اجتهاداً من قبل المؤول للكشف المعنى بالوساطة ؛ كما هي تأويلات القدماء ، أو على استشراف المعنى بالحيازة أو الامتلاك ، كما هي تأويلات المحدثين في العصر الحديث بخاصة ، فإن عملية التأويل عند الإمام الماتريدي ظلت محافظة على قدر كبير من المعيارية العلمية ، ومن التجرد عن ما يسميه بعض الباحثين « بواعث التأويل » التي تكون معنية لدى المؤول بتوجيه النص نحو معنى معين ، وياقناع القارئ الآخر بعد ذلك بالمعنى الذي كشف عنه التأويل<sup>987</sup> .

وهو بذلك يفتح آفاقاً واسعة لحدود اشتغال المجتهد / الباحث / الدارس على النص المقدس ، ولحدود التواصل مع الأنماط الفكرية المغايرة التي تداولت هذا النص قراءة ومقاربة وتفسيرا وتأويلاً .

ولعل هذا ما جعل الإمام الماتريدي يحظى بتقدير كبير لدى علماء الإسلام على اختلاف مدارسهم وتوجهاتهم الفكرية ، ويعتبر صاحب واحدة من أكبر المدارس الفكرية في تاريخ الإسلام .

فقد نقل البغدادي عن الشيخ عبد القادر قوله في الجواهر المضيئة عن كتاب تأويلات أهل السنة: « وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب ، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن »<sup>988</sup> .

وقال البعلبي: « وللكلام على المقصد الثاني مقدمة ، وهي أن طوائف أهل السنة ثلاثة أشاعرة وحنابلة وماتريدية »<sup>989</sup> .

## 2 - قواعد التأويل عند الماتريدي:

وغير مقصود بما سبق أن الإمام الماتريدي التزم التأويل من خلفية مذهبية صرف ، فقد كان الرجل حريصاً على اعتماد جملة الآليات المتداولة لدى الثقات من المفسرين إلى زمانه ، مع التحري في درجة قوة الأدلة والشواهد والقرائن ، مما يمنح مقارنته للنص القرآني سمة « التفسير » أيضاً (بحسب الضبط

987 التأويل بين السيميائيات والفكيكية - أومبرتو إيكو - ص 11-12 .

988 كشف الظنون : 1 / 335 . وذهب غير واحد إلى إنه كان أعرف الناس بمذهب أبي حنيفة . انظر : الرد على القائلين بوحدة الوجود : 1 / 24 .

989 كتاب العين والأثر في عقائد أهل الأثر - ج : 1 / ص : 53 .

المفاهيمي المعتمد لديه ) ، لكن المقصود أن الرجل آثر أن يصنف عمله ضمن المقاربات التأويلية ، ثم ألزم نفسه بجملة من الشروط والمواصفات العلمية الدقيقة ، واستعان بمجمل الأدوات والآليات التحليلية التي تداولتها الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الشرعية في مقاربة النص القرآني . وأهمها:

- القرآن: يعتبر تفسير القرآن بالقرآن من القواعد المجمع عليها لدى علماء التفسير ، فقد جعل الإمام الماتريدي القرآن أصلاً راجحاً في تفسير النص القرآني نفسه ، لا يتزح عنه في بيان المراد من بعضه ، وقدمه على غيره من الأدلة .

وتفسير القرآن بالقرآن قد يكون عند الماتريدي بيانا للمعنى ، كقوله في معنى الصراط من سورة الفاتحة: « وأما الصراط فهو الطريق والسييل في جميع التأويل . وهو قوله تعالى: « وأن هذا صراطي مستقيماً »<sup>990</sup> ، وقوله تعالى<sup>991</sup> « قل هذه سبيلي »<sup>992</sup>

أو تفصيلاً للمجمل كقوله في تأويل قوله تعالى في سورة البقرة: « الذي ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ... »<sup>993</sup> « عهد الله يكون على وجهين ، عهد خلقه لما يشهد خلقه كل أحد على وحدانية الرب ، كقوله: وفي أنفسكم أفلا تبصرون<sup>994</sup> ، وكقوله: أولم يتفكروا في أنفسهم<sup>995</sup> ، أنه إذا نظر في نفسه وتأمل ، عرف أن له صناعاً ، وأنه واحد لا شريك له . وعهد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، كقوله: « وقال الله إني معكم ، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي ... » الآية<sup>996</sup> . وكقوله: « وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب »<sup>997</sup> . فنقضوا العهدين جميعاً: عهد الخلق وعهد الرسالة »<sup>998</sup> .

ومن باب تقييد المطلق ما أورده في تأويل قوله تعالى: « وإذا سألك عبادي فأني قريب »<sup>999</sup> ، بقوله: « هو على الإضمار والله أعلم . كأنه قال: وإذا سألك عبادي عني أين أنا عن إجابتهم ؟ فقل لهم إني قريب . ويحتمل قوله قريب وجوهاً: يحتمل الإحسان والبر والكرامة لمن أطاعني . ويحتمل أنني قريب قرب العلم والإجابة لا قرب المكان والذات ، كقرب بعضهم من بعض في المكان ، لأنه كان ولا مكان ، ويكون على ما كان . وكذلك قوله: « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم »<sup>1000</sup> ، وكقوله: « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »<sup>1001</sup> ، وكقوله: « ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون »<sup>1002</sup> . كل ذلك يرجع إلى قرب العلم والإحاطة وارتفاع الجهات ، لا قرب الذات على ما ذكرنا<sup>1003</sup> .

ومن مظاهر حرص الإمام الماتريدي على التمثيل الأفضل للمقصد الإلهي من النص القرآني ، عمله على استحضار السياق التاريخي والدلالي واللغوي التداولي لهذا النص ، من خلال جملة العلوم

990	سورة لأنعام / الآية : 153 .
991	سورة : يوسف / الآية 108 .
992	تأويلات أهل السنة : 10 / 1 .
993	( الآية 27 .
994	الذاريات / 21 .
995	الروم / 8 .
996	المائدة / 12 .
997	ال عمران / 187 .
998	تأويلات أهل السنة : 28 / 1 .
999	البقرة / 186 .
1000	المجادلة / 7 .
1001	ق / 16 .
1002	الواقعة / 85 .
1003	تأويلات أهل السنة : 139 / 1 .



المساعدة كعلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وعلم القراءات ، إضافة إلى علوم الآلة من لغة ونحو وصرف ، وبلاغة وغيرها .

- الحديث النبوي: وقد أجمع علماء الملة على اعتبار الحديث النبوي الشريف كذلك أصلا معتمدا في الاستدلال على الأحكام ، في أبواب العقائد والعبادات والمعاملات على حد سواء ، ومرجعا لبيان المقصد الإلهي من الآيات القرآنية ، باعتباره شكلا من أشكال الوحي الإلهي ، تأسيسا على قوله تعالى: « وما ينطق عن الهوى »<sup>1004</sup> .

من هنا وجدنا الإمام الماتريدي يستند إليه بشكل كبير في تفسير جملة من الآيات ، واستنباط الأحكام منها ، وكذلك في الانتصار لأراء فقهاء الحنفية في ما ذهبوا إليه .

غير أن من أهم ما يلفت الانتباه في منهج الرجل في هذا الباب عدم العناية بالرواية ، على طريقة المحدثين في دراسة النص متنا ، وتتبع أسانيده سندا ، مما يدخل في باب نقد الحديث ، والجرح والتعديل وعلم الرجال ، إذ كان غالب اكتفائه بالاستدلال بالمضمون على موقفه من القضايا ذات الصلة ، ومن ثم اقتصر على تقديم الأحاديث تقديمًا مقتضيا ، مثل: روي عن الرسول (ص) كذا ، قولاً أو فعلاً ، جاء عنه (ص) ، جاء في بعض الخبر ، روي في بعض الخبر ، قيل في بعض الأخبار ، جاء في الأثر ، روي عن غير واحد ... وأشبه ذلك .

غير أن هذا المسلك لا يفيد قطعاً غياب أصول علم الحديث عن الخلفية المعرفية التي بنى عليها الماتريدي مذهبه التفسيري ، إضافة إلى ما تذكره المصادر التاريخية عن تمكنه من هذا العلم ، فقد وردت في تأويلات أهل السنة إشارات كثيرة تدل على حضور هذا البعد العلمي ضمن مقومات منهجه التفسيري ، كقوله مثلاً: روي مرفوعاً .. أو ما شابه .

ليبين ذلك نكتفي بمثال مسألة البسملة ، حيث جزم الإمام بكونها آية من القرآن الكريم لا من الفاتحة ، مستدلاً على ذلك بنص خطابه (ص) لأبي بن كعب (ص) مجرداً عن السند: «... دليل جعلها آية: ما روي عن النبي (ص) أنه قال لأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه: لأعلمنك آية لم تنزل على أحد من قبلي إلا على سليمان بن داود ، فأخرج من المسجد إحدى قدميه ثم قال له: بأي شيء تفتتح القرآن ؟ قال: باسم الله الرحمن الرحيم . فقال: هي هي » . ففيها دليل على أنها آية من القرآن ، وأنها لو كانت من السور لكان يعلمه نيفا ومائة آية لا آية واحدة . ولو كانت منها أيضاً لكان لا يجعلها مفتاح القرآن ، بل يجعلها من السور ...»<sup>1005</sup> .

وكان أحياناً يستطرد في بيان الحكم المستفاد من ذلكم الحديث الوارد على هامش الآية المؤولة ، والدفاع عن رأي « أصحابه » من الأحناف ، كما في حديث رضاع الكبير على سبيل المثال<sup>1006</sup> .

إلا أن الرجل كان حريصاً من الوجهة التربوية ، على تركيز ذهن المتلقي على القضية المركزية التي يكون بصدددها ، وعدم تشتيت الانتباه بالوقوف عند متعلقات النص .

- المأثور عن السلف: مثلما هو الحال بالنسبة إلى الحديث النبوي الشريف ، لم يكن وقوف الإمام الماتريدي طويلاً عند الأسانيد والرجال فيما يتعلق بمروياته من آثار السلف ، إذ اقتصر على وجه العموم

1004

سورة النجم / الآية 4 .

1005

تأويلات أهل السنة : 6 / 1 .

1006

تأويلات أهل السنة : 187 / 1 .

على سرد النصوص ويبان وجه الاستدلال بها في المسألة التي بين يديه ، ومناقشة محتوياتها ومقارنتها بغيرها إن لزم الأمر .

وقد كان أكثر المستشهد بكلامهم بدرجة أولى عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعائشة ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، والحسن البصري ، وأبو حنيفة ، ثم غيرهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين .

غير أنه في كثير من السياق يورد بعض المرويات بصيغة مبنية للمجهول مثل : قيل ، وقال بعضهم ، وأشباهاها كما في تفسيره لقوله تعالى : ” وقال الذين لا يعلمون لو لا آتينا آية ” <sup>1007</sup> .

«... وقيل : اليهود ، سألوها مثل سؤال النصارى .

وقيل : «النصارى سألوها مثل سؤال اليهود . والله أعلم . وقوله : تشابهت قلوبهم ... قيل : تشابهت

قلوبهم بالكفر والسهف ،

وقيل : تشابهت قلوبهم في المقالة ، يشبه بعضها بعضا في السؤال ، لأنهم سألوها سؤال متعنت ، لا سؤال مسترشد <sup>1008</sup> .

محوالا في كثير من الأحيان التوفيق بينها ، مؤكدا أنها تفضي إلى النتيجة نفسها أو المعنى نفسه . فيعلق قائلا : «... وكله يرجع إلى واحد . كقوله : « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » <sup>1009</sup> ، وكله واحد . فمن زحزح عن النار فقد فاز ، ومن أدخل الجنة فقد فاز . فكذلك الأول » <sup>1010</sup>

غير أن محاولات التوفيق هذه ، أو بالأحرى السكوت والتوقف ، إنما شملت في غالب السياقات الآيات ذات التأويلات الدائرة في فلك الترية والترغيب والترهيب ، وما إليها من المضامين المجمع عليها في الغالب بين المفسرين ، التي لم تكن موضع جدال بين أرباب المذاهب الكلامية والفقهية المعاصرة ، أو تلكم التي لم تُسَق دليلا على صحة أو بطلان في إحدى القضايا الدائرة بين أهل الزمان . وإلا فإن كتاب تأويلات أهل السنة حافل بعدد كبير من السياقات التي استدعت من المؤلف وقفات تحليلية نقاشية دقيقة منسوبة على الآيات نفسها ، وعلى آثار السلف وآرائهم في تأويل تلكم الآيات ، سواء فيما يتعلق بالمسائل الفقهية أو الاعتقادية الكلامية ، تأييدا وتعليلا ، وردا ، وتعقبا ، ثم استخلاصا وترجيحا كقولهم : « والأول أقرب . والله أعلم » في آية الاستهزاء وغيرها <sup>1011</sup> .

وإضافة إلى البعد المنهجي التطبيقي ، فإذا أخذنا بعين الاعتبار خلفيات التأويل في علاقتها بالمتلقي ، ثم العلاقة القائمة بين آيات إنتاج جميع أشكال الخطاب الأدبية والدينية والفكرية والسياسية ، وتداخل أدوار الأطراف المنتجة له في عملية تحديد مقوماته ومواصفاته النبوية والدلالية كما هو معروف في اللسانيات الحديثة ، نستطيع الذهاب إلى أن هذا المنحى الذي نجاه الإمام في تداول المرويات الحديثية والأثرية غفلا عن التوثيق السندي ، يشير إلى تمكن الإمام من تلكم العلوم تمكننا جعله يتجاوز تفصيلاتها باعتبارها أرضية بديهية لا فائدة من تكرارها ،

1007

. البقرة / 118 .

1008

. تأويلات أهل السنة : 1 / 86 .

1009

. سورة آل عمران / الآية 185 .

1010

. تأويلات أهل السنة : 1 / 15 .

1011

. سرا البقرة / الآية 15 .

لكنه بنفس القدر يمكن اعتباره مؤشرا هاما لتحديد نوعية المتلقي الافتراضي المستهدف بخطابه التأويلي ، والخلفية العلمية التي يفترض فيها تحقق مستوى معين من التراكم المعرفي الأولي الذي يؤهله لاستيعاب الخطاب الماتريدي ، بشكل يدفع إلى الاعتقاد بأن المؤلف كان يقوم بعملية متناسقة من ” الإحالات ” على التراكم المعرفي المقترض تواجهه أصلا لدى القارئ / التلميذ .

- القضايا الأصولية: رغم أن الإمام الماتريدي اشتهر بالدرجة الأولى بالكلام في العقيدة والتوحيد إلا أن كتاب تأويلات أهل السنة يكشف عن نظرات نافذة في باب الأصول ، بالاستناد إلى جملة من القواعد جعلت بعض المتأخرين يتقلون عنه ويستشهدون بكلامه في هذا الباب .

وقد كان الرجل تارة يوظف القواعد الأصولية لخدمة النص القرآني وبيان المقصود الإلهي من الخطاب ، أو وجه استنباط الحكم الشرعي منه ،

مثال ذلك قاعدة: ” أن الجمع في الأمر والذكر لا يصير الجمع في الفعل شرطا ” <sup>1012</sup> التي أوردتها في معرض تأويل قوله تعالى: « قلنا اهبطوا منها جميعا » <sup>1013</sup> .

وقاعدة: « لا نصرف مراد الآية إلى العموم بلفظ العموم ، ولا إلى لفظ الخصوص بلفظ الخصوص إلا بعد قيام الدليل والبرهان على ذلك » <sup>1014</sup> .

وتارة باعتبارها قواعد تستنبط من النص نفسه ، لدلالة الآية عليها ، كقاعدة: « إنما تطلب الحجة على مصرح القول لا على مستدل القائل » <sup>1015</sup> في قوله تعالى: « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » ، <sup>1016</sup> بدليل جوابه تعالى: « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن » ، جوابا على قول من قالوا: « لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى » . وله في هذه الآية بيان لطيف لا يتسع المجال هنا لبسطه مفصلا <sup>1017</sup> .

وقاعدة: « أن الحكم الموجب لعلة ، يجوز لزومه فيما ارتفعت عنه تلك العلة وعدمت » ، كذكر حرمة الكتمان في فيمن آمن في قوله تعالى: « ولا يحل لهن أن يكتمن ما أحل الله لهن في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر » <sup>1018</sup> ، إذ قد يلزم ذلك من ليس بمومن ، لكونه « غير مستحسن في العقل » . وكذلك الشأن بالنسبة إلى ذكر الإيمان في آية إصلاح ذات البين: « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » <sup>1019</sup> ، وآية الربا: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين » <sup>1020</sup> ، « فدل على أن الحكم إذا ذكر العلة في أحد ، لا يمنع لزوم ذلك في غير المذكور » <sup>1021</sup> .

1012	تأويلات أهل السنة : 1 / 45 .
1013	سورة البقرة / الآية : 38 .
1014	تأويلات أهل السنة : 5 / 121 .
1015	نفسه : 1 / 82 .
1016	سورة البقرة / الآية : 111 .
1017	تأويلات أهل السنة : 1 / 82 .
1018	البقرة / 228 .
1019	الانفال / 1 .
1020	البقرة / 278 .
1021	تأويلات أهل السنة : 1 / 179 .

وتارة ثالثة يستحضر القاعدة لرفع التعارض بين مصادر الحكمة: العقل والنقل ، كقاعدة التمييز بين مماثلة الأحوال ومماثلة الأسباب في بناء الجواز العقلي<sup>1022</sup> ، عند قوله تعالى: « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا »<sup>1023</sup> .  
وغيرها من القواعد .

وهي قواعد وأصول يستطيع الباحث أن يلاحظ أن الإمام الماتريدي التزم بها في منهجه العلمي لا فيما يتعلق بآيات وتأويل النص القرآني في حد ذاته فحسب ، بل أيضا فيما يتعلق باستنباط الأحكام الفقهية من تلكم الآيات ، والانتصار لمذهب أبي حنيفة فيها ، إضافة إلى الانتصار لمذهبه الكلامي في مسائل الاعتقاد التي ربما لا يتسع المجال لبسط الكلام فيها في هذا السياق:

كمسألة الدليل بالدليل ،

وإبطال التقليد ،

والثقة في السمع والعقل في أمور الدين توفيقا ،

وكمصادر العلم: العيان ، والإخبار ، والنظر ،

وحدوث العالم ،

ومسألة الذات والصفات والأفعال ،

والصفات المتشابهة ،

ووحدانية الله ،

ورؤية الله في الآخرة ،

ونفي الصلاح والأصلح في أفعال الله ،

نفي الأغراض عن الأمر والنهي الإلهيين ،

ومسألة لا قبيح في خلق الله ،

ومسألة الاختيار الإنساني ... وغيرها<sup>1024</sup> .

بعبارة أخرى ، لقد كان كتاب تأويلات أهل السنة تفسيرا مؤسسا على مقارنة للنص من منظور فكري اعتقادي محدد ، مما يعني - وهو أمر طبيعي - صعوبة فصلها أو تجريدتها عن الخلفية الاعتقادية للمؤلف ، بشكل يجعل هذا الكتاب تجسيدا لخصوصيات مدرسته الفكرية ، وتأليفا موازيا لكتاب التوحيد وغيره .

غير أن اعتماد تلكم الأصول والقواعد في تفسير القرآن الكريم يبين بوضوح أن الإمام الماتريدي وإن كان صاحب مذهب كلامي يدافع عنه ، إلا إلا أنه في دفاعه هذا لم يحصر نفسه في دائرة التعصب المذهبي على نحو ما ذهب إليه كثير من المذاهب المغايرة ، بل اجتهد في تحقيق قدر كبير من الموضوعية ، والالتزام

1022

نفسه : 230 / 1 .

1023

سورة البقرة / الآية 275 .

1024

انظر : كتاب التوحيد - لأبي منصور الماتريدي . وأيضا : التحرير الحميد لمسائل علم التوحيد - لمحمد صالح بن أحمد الغرسي ص : 283 - 358 . وغيرها .

بقواعد الفسفر العلمى المستند على تعدد زوايا وآيات تحليل النص ، مع الحرص على الوقوف عند حدود المقاربة التأويلية النسبية ، ولعل هذا ما جعل الكتاب يخلو من الإسراءليات ، ومن المرويات الكرامية ، وقمص الأولين الخيالية ، وأخبار الغيبات التي جرى تداولها في كثير من تفاسير القرآن الكريم<sup>1025</sup>

### 3 - المدرسة الماتريدية في بلاد الغرب الإسلامي:

تأسيسا على ما سبق ، يستطيع الباحث أن يخلص إلى أن الإمام الماتريدي أسس منهجا تفسيريا وكلاميا على درجة عالية من الوضوح المنهجي ، والتجرد العلمي في نفس الآن ، استفادت منه كثير من المدارس الفكرية في جملة من البلاد الإسلامية عبر التاريخ ، وساهم مساهمة قوية في البناء الفكري والحضاري للأمة الإسلامية عبر التاريخ<sup>1026</sup> ،

قال بدر الدين بن جماعة: « وافاض في الكتابة في علم التوحيد الإمامان الجليلان أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي رحمهما الله تعالى . وحما وإلى الآن الصعدة لمن كتب بعدهما في علم التوحيد مثل الباقائي والغزالي والفخر وإمام الحرمين وغيرهم<sup>1027</sup> .  
إلا أن الحاجة كانت دوما ماسة إلى المزيد من الاستفادة من مقوماته المنهجية ، في عملية تطوير وتحديث مستمر للفكر العربي الإسلامي .

والإشارة هنا بالذات إلى منطقة الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس) ، فمعلوم أن بلاد الغرب الإسلامي تميزت طوال مراحل الفرون الوسطى إلى اليوم بنوع من الإجماع التلقائي من قبل جملة شرائح المجتمع على اعتماد مرجعيات فقهية وتشريعية ، واعتقادية توحيدية ، وسلوكية تربوية ، موحدة لا تزال قائمة إلى اليوم ، وهي:

- مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري في العقيدة .
- مذهب الإمام مالك بن أنس في الفقه والنسب .
- منهج الإمام أبي القاسم الخنيد النيسابوري في السلوك والتربية الصوفية ، أي ما اصطلح على تسميته ب: التصوف السلوكي أو التصوف الأخلاقي .

هذه الأثافي الثلاث هي التي جسدها الإمام عبد الواحد بن عاشر المتوفي سنة 1040 هـ / في منظومته الشهيرة: " المرشد المعيد على الضروري من علوم الدين " ، هذه المنظومة التي تعتبر من أكبر المدونات المرجعية الجامعة المتمتدة لدى أهل الغرب الإسلامي ، والتي حظيت بعناية استثنائية من قبل العامة والخبعة العالمية على حد سواء ، حفظا واستظهارا ، وتلقينا ، وشرحا ، وتعليقا ، وتحشية ..

1025

ولعل فلما جعل بعض الباحثين يعطون مذهبه أرب إلى الامتزاج .

1026

قال الأشعري: " ... ثم ينبغي له بعد إتيان فن أصول الفقه وإن لم يكن قد فرغ من سماع مولاه أن يشغل بنين الكلام المسمى بأصول الدين ويأخذ من مؤلفات الأشعرية بتصحيح ، ومن مؤلفات المتزلة بتصحيح ، ومن مؤلفات الماتريدية بتصحيح ، ومن مؤلفات المتوسطين بين هذه الفرق كالتريدي بتصحيح ، فإنه إذا فعل هكذا عرف الاعتقادات كما ينبغي وأصنف " - أبيجد العلوم 1: /368 كما أنه اعتبر كتاب تأويلات أهل السنة من أمهات كتب الفسفر المشروطة . نفسه: 2 /186 . وانظر أيضا : منهج الأصاخرة في العقيدة بين الحقائق والأرواح - محمد صالح بن أحمد النربسي - ص: 13 - 25 .

1027

إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطل : 8 /1 .

يقول عبد الواحد بن عاشر في هذه المنظومة:

يقول عبد الواحد بن عاشر مبتدئا باسم الإله القادر

الحمد لله الذي علمنا من العلوم ما به كلفنا

صلى وسلم على محمد وآله وصحبه والمهتدي

وبعد فالعون من الله المجيد في نظم أبيات للأمي تفيد

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك<sup>1028</sup>

من هنا لا يجد الباحث صعوبة في الوقوف على حقيقة واضحة المعالم ، هي أن الحركة العلمية والفكرية ، وحركة التأليف والنسخ والتدريس والرواية ظلت في معظمها دائرة في فلك تلكم الأثافي الثلاث المذكورة ، مما أفضى إلى غياب بقية المذاهب والفقهية الأخرى عن حركة الدرس والتداول العلمي ، من حنفية ، وشافعية ، وحنبلية ، وشيعية ، وإباضية وغيرها . مما جعل المغرب أكبر قلعة علمية للفقهاء على مذهب الإمام مالك .

ولما كان المالكية كلهم أشاعرة بدون استثناء على ما ذهب إليه ابن السبكي في الطبقات الكبرى<sup>1029</sup> ،

فقد حصل الأمر نفسه في باب العقائد والتوحيد ، إذ تركزت جهود العلماء على التدريس والتدوين والشرح على عقيدة الأشعري بوجه خاص ، لكونه: « إمام السنة ، ورئيس الجماعة المضمون لها العصمة من الله »<sup>1030</sup> ، مع الإعراض عن جملة المذاهب الأخرى ، إلا ما كان من رد أو تعقيب أو نقض عرضي .

ولذلك قال شاعرهم:

الأشعرية قوم \*\*\* قد وفقوا للصواب

لم يخرجوا في اعتقاد \*\*\* عن سنة أو كتاب<sup>1031</sup> .

وقال غيره:

من كان في الحشر له عدة \*\*\* تنفعه في عرضة المحشر

فعدتي حب نفي الهوى \*\*\* ثم اعتقاد مذهب الأشعري<sup>1032</sup>

ومما عمق ذلك الإجماع الفكري الاعتقادي ، أن مناصرة نخبة أهل الغرب الإسلامي لمذهبه لم تكن على المستوى الاستدلالي الظاهري فحسب ، بل أيضا على المستوى الباطني العرفاني من خلال تأييد شيوخ التصوف لمجمل آرائه ، وتصنيف الإمام أبي الحسن ضمن طبقة العارفين الكبار « أهل الحقائق والكشف والأذواق » .

قال الإمام أبو سالم العياشي في ماء الموائد:

1028

منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين - ص : 1 .

1029

الطبقات الكبرى - لابن السبكي : 3 / 373 .

1030

الأزهار الطيبة النثر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر : 2 / 217 .

1031

نفسه : 2 / 219 .

1032

نفسه : 2 / 215 .

” قال لي شيخنا الملا إبراهيم يوما: ما رأيت مذهبا من مذاهب المتكلمين أقرب إلى مذاهب العارفين ، وأشبه بها من مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري . فما قال العارفون هل الكشف في مسألة بخلاف أقوال المتكلمين ، إلا وردت أقوال الأشعري أقرب إلى قولهم من غيره . بحيث يمكن رده إلى أقوالهم بأدنى تأويل . بل المواضع المستشكلة من كلامه جارية على ما يقوله أهل الكشف . ولذلك أشكلت على من لم يبلغ مقامه في المعرفة من أهل الظاهر كقوله: ... ” <sup>1033</sup> .

وقال الإمام عبد القادر الفاسي ” لا شك أن الإمام الأشعري كان له حظ وافر من العلم بالله والمعرفة به ، مؤيدا في أقواله ، مبرء في آرائه ، غير خال من الكشف الصحيح ، والذوق الصريح ، لولا أن ما أقامه الله فيه من مناظرة أهل الأهواء ومناضلتهم ، والجري معهم على نحو ما عرفوه من أدلة المتكلمين ، لكان رأسا في طريق القوم ، وإمام العارفين في زمانه . وقد شهد له بذلك أهل البصائر من العارفين في زمانه ” <sup>1034</sup> ، مستندين في ذلك إلى رؤيته الرسل (ص) وتلقيه التوجيهات منه ، على الطريقة الكشفية عند أهل التصوف .

قال بعض المتأخرين في ذلك:

» واضعه هو الإمام الأشعري \*\*\* أتى به من كل شبهة عري

أمده به الرسول رؤيا \*\*\* فكان أحسن الأنام رأيا <sup>1035</sup>

هكذا شكلت العقيدة على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ثلاثة الأنافي وعمدة أهل الغرب الإسلامي المجمع على مرجعيتها بين جميع شرائح المجتمع .

ونتيجة لذلك ، فقد حظي الماتريدي عند المغاربة بتقدير كبير رفعه إلى طبقة عمدتهم أبي الحسن الأشعري إذ وصفوه ب: « إمام الهدى » <sup>1036</sup> ، « المدافع عن السنة » .

قال في الأزهار الطيبة النشر:

» .. الذي تصدى تحرير عقائد أهل السنة وتلخيصها ودفع الشبه والشكوك عنها ، وإبطال دعوى الخصوم ، وجعل ذلك علما مفردا بالتدوين هو الماتريدي والأشعري .

الأول حنفي هو أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي إمام الهدى ...

والثاني شافعي على ما في الطبقات ، أو مالكي على ما في المدارك ، وهو الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل ... وقد توافقا - أعني الماتريدي والأشعري - في جميع أمهات المسائل وأصول الاعتقاد ، ولم يقع الاختلاف بينهما إلا في بعض الفروع ، كمسألة صفات الأفعال ، المعبر عنها بصفات التكوين » <sup>1037</sup> .

إلا أن حضور المذهب ضمن الحركة العلمية والفكرية بعموم بلاد المغرب لم يكن بمستوى حضوره كمكون فكري وعلمي من مكونات الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية في جملة من مناطق امتداد الحضارة الإسلامية .

1033

الرحلة العياشية : 1 / 403 وما بعدها

1034

الأزهار الطيبة النشر : 2 / 218 .

1035

نفسه : 2 / 215 .

1036

نفسه : 2 / 211 .

1037

نفسه : 2 / 210 .

يكفي لتبيين الأمر الوقوف على نوعين من المصنفات:

أولهما: كتب المشيخات والفهارس والمعاجم والأثبات والمسلسلات ، التي اعتبرت باستمرار المؤشر الأساس في ما يتعلق بتبين خصوصيات الحركة العلمية عبر التاريخ ، وحركة تداول الكتب والمصنفات ، ومقررات التدريس ، من خلال إجازات الرواية ، والمناولة ، والسماع ، وغيرها<sup>1038</sup> .

وثانيهما: متون التوحيد والعقيدة ، والكلام ، والفقه ، الأصول ، وشروحها ، والحواشي شروح الشروح ، والتعليقات ، والتطبيقات ، والاختصارات ، وغيرها (المرشد المعين ، العقائد الصغرى والكبرى والوسطى ، للسنوسي ، وشروحها له وغيره ، العقيدة الزروقوية وشرحها ، مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، وشرحها للقاضي عبد الوهاب ، عقيدة الشيخ عبد القادر الفاسي ، وشروحها ...)<sup>1039</sup> .

إن عملية مسح شاملة لهذين النوعين من الكتب والمصنفات بعموم بلاد المغرب يكشف بوضوح أن مذهب الإمام أبي منصور الماتريدي وكتبه ، وحتى مروياته في مختلف أبواب العلوم الشرعية ، لم يرد ذكرها في مصنفات أئمة علماء المالكية بها إلا لماما ، وفي سياقات عرضية غير محورية ، إذ لا تتجاوز الإخبار التعليمي التلقيني الابتدائي .

يقول ابن الحاج السلمي الفاسي: « ... ولما علم من اختلاف الأشاعرة والماتريدي من الحنفية أيضا في بعض المسائل ، كمسألة التكوين وغيرها . وهي ثلاث عشرة مسألة سبعة منها الخلاف فيها لفظي . وستة الخلاف فيها معنوي ، لكنه لا يؤدي إلى تكفير . بل ولا إلى تبديع وتضليل ، وإنما هو كاختلاف الأشاعرة فيما بينهم في كثير من المسائل »<sup>1040</sup> .

ويقول: ” وكان أهل السنة يلقبون قبل الأشعري والماتريدي بالمشبهة ، لإثباتهم ما نفاه المعتزلة من صفات المعاني القائمة بالذات ، وخلقته تعالى لأفعال العباد ، ورؤيته تعالى في الآخرة ، وسؤال الملكين ، والصراف والميزان والشفاعة ، وخروج عصاة المومنين من النار ، وغير ذلك ، فلما ظهر الأشعري والماتريدي لقب أصحاب الأول بالأشعرية والأشاعرة ، وهم أهل ديار خراسان والعراق والشام والمغرب والأندلس ، وأكثر الأمصار ، وأصحاب الثاني بالماتريدي ، وهم أهل ديار ما وراء النهر ”<sup>1041</sup>

أما اعتماد مؤلفات الإمام أبي منصور ضمن مقررات التدريس في حلقات العلم الشرعي فيصعب الوقوف على ما يدل عليه بالمؤسسات العلمية الكبرى كجامعة القرويين بحاضرة فاس ، أو جامعة الزيتونة بتونس ، أو جامع ابن يوسف بمراكش ، أو جامع قرطبة ، أو جامع غرناطة ، أو حتى بالمؤسسات العلمية الموازية كالزوايا والمدارس (الزاوية الفاسية ، الزاوية الناصرية ، الزاوية الكتانية ..) ، حسبما يدل عليه التراث العلمي الصادر عن هذه المؤسسات ضمن النوعين سالف الذكر<sup>1042</sup> .

انظر مثلا : الرسالة المستطرفة - لمحمد بن جعفر الكتاني - ص : 105 . فهارس علماء الغرب - لعبد الله المرابط 1038 الترغي .

انظر مثلا : فهرس مخطوطات الخزانة الحسنية بالرباط . فهرس مخطوطات الخزانة العامة للتوثيق والمخطوطات بالرباط . فهرس خزنة جامع ابن يوسف بمراكش . فهرس الخزانة العلمية بالجامع الأعظم بتازة . د. عبد الرحيم العلمي . وغيرها .

الأزهار الطبية النشر : 219 / 2 .

نفسه : 215 / 2 .

تاريخ الفكر الأندلسي - أنخل جونجالث بالثيا - ترجمة حسن حسن . مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - 1955 .

انظر في ذلك كتاب : الرسالة المستطرفة - لمحمد بن جعفر لكتبي



وهي في الحقيقة نتيجة ربما كان من المغامرة بمكان الجزم بالخلفيات الموضوعية التي أفضت إليها:

- هل هي توافق تلقائي تأسس في أوساط النخبة العالمية عبر فصول تاريخية متعددة على اعتماد عقيدة الإمام الأشعري ، وتكريس الاستثناء المغربي في توحيد المرجعية المذهبية والفقهية والسلوكية بدءاً من نهاية دولة الموحدين وظهور دولة بني مرين أواخر القرن السابع الهجري ؟

- هل هي استغناء بالمذهب الأشعري عن المذهب الماتريدي خصوصاً بالنظر إلى سعة الأرضية الاعتقادية المشتركة بينهما<sup>1043</sup> ، وإحجام - بسبب ذلك - حتى عن تداول ومناقشة القضايا الخلافية ، مثلما هو الشأن بالنسبة إلى بقية المذاهب التي كثر تداول آراء أئمتها في مصنفات علماء المغرب رداً ونقضا وتفنيداً ؟ .

\_ أم أن للأمر بعدا سياسيا تنافسيا بين إمبرطوريتين كبيرين انتقلت تداعياته إلى الأوساط الفكرية والعلمية بأشكال وتجليات متعددة ؟

أيا ما كانت الخلفيات ، فقد ظل المذهب الماتريدي لفترات طويلة من تاريخ العلوم ببلاد الغرب الإسلامي غائبا عن حلقات الجدل النقاش والتداول العلمي بجميع أشكاله ، مما يعني غياب رافد كبير من الروافد الفكرية الإسلامية التي يفترض أن يفضي الانفتاح عليها إلى إغناء منظومته الفكرية المرجعية وتطورها .

#### 4 - توصيات:

كل هذا يستدعي من الباحث وقفة لإعادة الاعتبار للمدرسة الماتريديّة ، والاستفادة منها في أفق تأسيس منهج تفسيري متطور يقوم على منظومة فكرية واضحة دقيقة ، وعلى منهج علمي متعدد الآليات في نفس الآن .

وهو المطلوب الذي نستند إليه في دعوة هذا الملتقى العلمي إلى تبني التوصيات التالية:

- تكوين قاعدة بيانات بيبليوغرافية فيما يتعلق بتراث المدرسة الماتريديّة ، المخطوط ، والمطبوع ، والمرقون ، تكون نقطة ارتكاز ومرجعا للباحثين في الموضوع .

- توجيه البحث العلمي الأكاديمي في الجامعات الإسلامية خصوصا في مرحلة الدكتوراه ، نحو مواصلة البحث عن تراث المدرسة الماتريديّة ، المخطوط ، وإخراجه ونشره ، سواء منه ما كتبه الإمام ، أو ما كتبه تلامذته وشرّاحه<sup>1044</sup> .

سبقت الإشارة إلى قول ابن الحاج السلمي الفاسي " ... وقد توافقا \_ أعني الماتريدي والأشعري في جميع أمهات المسائل وأصول الاعتقاد ، ولم يقع الاختلاف بينهما إلا في بعض الفروع ، كمسألة صفات الأفعال ، المعبر عنها بصفات التكوين " الأزهار الطيبة النشر : 210 / 2 . وانظر أيضا - رسالة في الاختلاف بين الأشاعرة والماتريديّة: لابن كمال باشا . نظم الفوائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريديّة والأشعرية - لشيخ زادة .

1044 كالحكيم السمرقندي (ت 342 هـ) ، والرسغفني ، واليزدوي (ت 390 هـ) ، وأبي الليث البخاري ، ومحمود بن زيد الدمشقي الأصولي ، وفضل الحق العمري الجشتي الخير آبادي ، وغيرهم . انظر : الفوائد البهية - ص : 14 . أيجد العلوم : 253 / 3 . تاريخ الأدب العربي - بروكلمان : 268 / 3 .

- تبني مشروع الموسوعة الماتريدية التي ينبغي أن تشتمل إضافة إلى تراث الإمام ومدرسته ، على جملة المرويات المنسوبة إليه ، المتفرقة في بطون كتب التاريخ ، والتراجم ، والفقه ، والعقيدة ، والأصول ، وغيرها ، وعلى جملة ما كتب عنه من قبل المؤيدين والمعارضين على حد سواء .

- تبني مشروع مركز للأبحاث والدراسات باسم الإمام الماتريدي ، يعنى بنشر تراثه ، وتشجيع الأبحاث التخصصية في فكره وعقيدته .

- التشجيع على تعدد الملتقيات العلمية التخصصية في الموضوع .

البيبلوغرافيا:

- القرآن الكريم .

- الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - المكتبة الثقافية - بيروت - 1973 .

- البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط 3 - دار الفكر 1980 م .

- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفكرية - محمد أبي زهرة - دار الفكر العربي بيروت - لا ت .

- الفكر الفلسفي في الإسلام - د . محمد علي أبي ريان - ط 2 - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - 1973 .

- تاريخ الأدب العربي - كارل بروكلمان - ترجمة د عبد الحليم النجار - ط 4 - دار المعرف القاهرة - لا ت .

- البداية والنهاية لابن كثير- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لا ت .

- تأويلات أهل السنة - لأبي منصور الماتريدي - تحقيق فاطمة يوسف الخمي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط 1 - 2004 .

- تأويلات أهل السنة - تحقيق وتعليق د. إبراهيم عوضين والسيد عوضين - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة - 1983 .

- تأويل مختلف الحديث - لابن قتيبة الدينوري - دار الكتاب العربي - بيروت - لا ت .

- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - ابن عساكر - دار الكتاب العربي - بيروت - 1979 .

- كشف الأسرار عن أصول البزدوي - لعبد العزيز بن أحمد البخاري - مراجعة عبد الله محمد عمر - منشورات دار الكتب العلمية - بيروت .

- التفسير والمفسرون - د . محمد حسين الذهبي - ط 3 - 1976 .

- الرسالة المستطرفة - لبيان مشهور كتاب السنة المشرفة - محمد بن جعفر الكتاني - ط 3 - دار الفكر - دمشق - 1964 .

- طبقات المفسرين - للسيوطي - ط ليدن - 1983 .
- كتاب التوحيد - للماتريدي - تحقيق فتح الله خليف - ط 1 - دار المشرق - بيروت - 1970 .
- لسان العرب - لابن منظور - دار صادر - بيروت - لات .
- معجم المؤلفين محمد رضا كحالة - مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي - بيروت - لات .
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري - تحقيق محي الدين عبد الحميد - ط 2 دار الحدائة - 1985 .
- الملل والنحل للشهرستاني - دار الفكر - بيروت - 1980 .
- كشف الظنون - للبغدادي - دار الفكر - بيروت - 1990 .
- ضحى الإسلام - أحمد أمين - دار الكتاب العربي - بيروت . لات .
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل - لبدر الدين بن جماعة - تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني - دار السلام - ط 1 - 1990 .
- التمهيد لقواعد التوحيد - لأبي المعين النسفي - تحقيق حبيب الله حسن أحمد - دار الطباعة المحمدية - القاهرة - ط 1 - 1986 .
- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة - لأبي منصور الماتريدي - عبد الله بن مراجعة إبراهيم الأنصاري - ط وزارة الشؤون الدينية - قطر - مصورة عن طبعة حيدر آباد - 1321 .
- الماتريدية دراسة وتقويمًا أحمد بن عوض الله بن داخل اللهبيي الحربي - دار العاصمة - 1413 .
- أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقديّة - بلقاسم الغالي - دار البركي للنشر - تونس - 1989 .
- رسالة في الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية: لابن كمال باشا - ط استانبول 1304 هـ .
- نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية - لعبد الرحيم بن علي شيخ زادة - ط 1 - المطبعة الأدبية - القاهرة - 1312 .
- شرح إبراهيم البيجوري على متن السنوسية في علم التوحيد - المكتبة المحمودية - القاهرة - لات .
- الغنيمة الكبرى بشرح مقدمة السنوسي الصغرى - لأحمد الرهوني - المطبعة المهديّة - لام - 1351 .
- فهارس علماء المغرب - منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ، منهجيتها - تطورها - قيمتها العلمية - عبد الله المرابط الترغي - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - تطوان - ط 1 - 1999 .
- تاريخ الفكر الأندلسي - أنخل جونجالث بالثيا - ترجمة حسين مؤنس . مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - 1955 .
- الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة - لمحمد بن جعفر الكتاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 2 - 1400 .

- الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر - لمحمد الطالب بن الحاج  
السلمي المرادسي الفاسي ت 1273 هـ - تحقيق أ.د. جعفر ابن الحاج السلمي - ج 2 - منشورات  
جمعية تطاون أسمىر - تطوان - 2007 .
- شرح صغرى السنوسي - لأبي عبد الله محمد بن المامون بن محمد الحفصي المراكشي -  
مطبعة احمد يميني - فاس - 1324 .
- المرافق على الموافق- لماء العينين محمد بن فاضل بن مامين - ط 1 - فاس - 1324 .
- شرح السنوسي على رسالته صغرى الصغرى - وبهامشه: المواهب الربانية في شح المقدمات  
السنوسية - لأبي إسحاق - إبراهيم الأندلسي - السرقسطي - ط 1 - المطبعة الخيرية - مصر - 1304 .
- شرح وسطى السنوسي - له - ط 1 - مطبعة التقدم الوطنية - تونس - 1327 .
- منهج الأشاعرة في العقيدة بين الحقائق والأوهام - محمد صالح بن أحمد الغرسي - ط 1  
اسطنبول - 2006 .
- تحفة المرید على جوهرة التوحيد للبايجوري - مع حاشيته: التحرير الحميد لميسائل-علم  
التوحيد - لمحمد صالح بن أحمد الغرسي - مكتبة الإرشاد - اسطنبول - ط 1 - 2007 .